ويتكئ بلخير على ما تمثله الأمكنة من جذب للنظائر، وتقترب الأماكن التي تتحول إلى رحم رمزي يعود إليه من نطق «الضاد» فالأمكنة في شعره أكبر من أن تكون مشدودة إلى حدودها الإقليمية الضيقة، فهي واسعة سعة الصحراء العربية، وهي ممتدة امتداد التاريخ العربي، ذلك التاريخ المترع بسحره وروحيته، بما يحمله من مغناطيس يجذب «زمزم» إلى «الفرات» و «الكرخ» إلى «جياد» و «الندوة» إلى «الرصافة» و «الرياض» إلى «بغداد»:

أبناء «بغداد» الشقيقة مرحبا
من كل قلب نابض وفؤاد
قرت بمقدمكم عيون شبابنا
فالبشر من خلل الأسرة بادي
واليوم تحتفل البلاد بأسرها
بكمُ ويصدح كل طير شادي
وتبث «زمزم» للفرات حنينها
و«الكرخ» يبعث شوقه لـ«جياد»
وتهب من «مهد النبوة» نسمة
تغشى «الرصافة» كالشعاع الهادي
فتثير من زهر الرياض عبيره
فيضوع في الأرجاء والأنجاد
هي نسمة الإخلاص من حرم الحمى
لشقيقه أفديهما بفؤادي

وليعود بعدها، أعضاء البعثة العراقية يحملون في أعماقهم نسائم من «بطحاء مكة» وأريجا من «عرصات نجد» فرحين بقصيدة الشاعر الحجازي الشاب، التي عرفت به في بغداد والبصرة والنجف، قبل أن يتعرف أبناء دجلة والفرات على من هم أسن منه، وأكثر تجربة من الشعراء الحجازيين ! فما إن عاد الوفد العراقي حتى تم نشر هذه القصيدة في الصحف العراقية، بل ووجدت في مديرية المعارف في العراق مادة نموذجية، لتقررها على طلاب المدارس والكليات! ويؤكد ذلك ما ذكره الناقد العراقي يوسف عزالدين، بقوله: «كانت حفاوتنا ونحن طلاب في المدرسة الابتدائية كبيرة عندما جاءت مجلة «الفتوة» تحمل قصيدة هزت الجوانح والنفوس، تتغنى باسم بلدان العرب، ألقيت في وفد الكشافة العراقية الذي ذهب إلى الجزيرة... لأنها عزفت أجمل لحن، وأرق نغم على وتر العروبة، النابع من الجزيرة، فحفظناها لجمال أسلوبها، ودفق عاطفتها، وصدق عبارتها. إنها عبرت عن رغبة كامنة في نفوسنا نحو الجزيرة العربية، ونحو الوحدة الكبرى».

وحتى تكتمل صورة عبدالله بلخير في شبابه، لا بد من الإشارة إلى أن هذا الشاب الذي أحس بنسمات العروبة تسري في كيانه في حضرموت التي غادرها صغيرا، لينشأ نشأة حجازية في مكة المكرمة، كان من أوائل الجامعيين السعوديين . والطريف في أمره أنه تلقى تعليمه الجامعي في الجامعة الأمريكية في بيروت، وليس في

للحفاظ على ذاكرة الأمة: أدباء م... مثقفو مصر يقترحون إحي...

نعى المفكر المصري الدكتور محمود علي مكي الأديب الراحل عبدالله بلخير وقال لـ « الوطن*» في القاهرة: إن إسهامات الشاعر الراحل شكلت علاقة فارقة في تاريخ الإبداع الحديث والمعاصر بالمملكة.

وامتدت منها لإغناء التجربة في البلدان المجاورة نتيجة امتزاج الأجواء التي دارت في رحابها كتاباته وقصائده فترة من الزمن قبل انسحابه عن الأضواء، والتي اتسمت بأصالة الارتباط بالبيئة والثقافة العربية التي تشعر قارئها بالألفة والحميمية. وأشار مكي إلى أن الإنتاج المطبوع وغير المطبوع الذي خلفه الشاعر الراحل يمثل تراثا فكريا حقيقيا يصلح لتعميق الهوية ومقومات شخصية الأمة في عصر تتعرض فيه لتحديات خطيرة وهجمات متكررة تعتصم خلالها بما يمثل حصنا لثقافتها التي يمثل الشعر مصدرا ورافدا هاما لحيويتها وقدرتها المتجددة على العطاء.

كما طالب مكي بتبني مشروع إعادة طبع ونشر مؤلفات الشاعر الراحل في إطار مبادرة ثقافية للحفاظ على ذاكرة الأمة الشعرية من السقوط في دائرة النسيان.

القاهرة كالكثرة الكثيرة من مثقفي ذلك الجيل. وهو ما يثير سؤالا عن سر اختيار بيروت والجامعة الأمريكية ؟ وقد يكون لحسه القومي سبب في ذلك، خاصة أنه تعرف إلى فكر قسطنطين زريق- أستاذه في الجامعة الأمريكية، فيما بعد- قبل أن يتوجه إلى بيروت، في حين كانت مصر آنذاك مشغولة بالوطنية بمفهومها الإقليمي الضيق، وهو مفهوم لا يجد له في قلب الشاعر العروبي صدى . وهيأت له بيروت وجامعتها الأمريكية الاتصال بالحركة العربية، ومن منابعها الرئيسية، التي كانت تدور في فلك المنظر القومي الكبير قسطنطين زريق، وعبر ثلة من مريديه الذين كانوا ينتمون إلى مناطق عربية مختلفة كسوريا ولبنان والعراق،واليمن، وغدا عبدالله بلخير أحد أعضاء جمعية «العروة الوثقى» في الجامعة الأمريكية، التي أتاحت له الاتصال بمد العروبة الصاعد في المشرق العربي، قبل الحرب العالمية الثانية، ولتعيش العروبة والإيمان بالوحدة العربية الكبرى شابة في وجدان الشاعر عبدالله بلخير لا تشيخ، وليطيب له أن يلقب بـ «شاعر الأمة» هذه الأمة التي تحولت لديه إلى مفردات شفافة يصوغها شعرا في بطحاء مكة المكرمة، فيتلقفها شبان العراق مهللين لها، وإن ظل مسكونا بالرموز العربية عبر التاريخ : الأعشى النجدي، وطارق بن زياد المغربي، وبقايا الذكريات العربية في الأندلس، وأن يغذي روحه وعقله بآي من القرآن الكريم التي ملأت وجدانه بهذه الأمة التي خصها بدافق شعره، فكان شاعرها الذي أحبها وأخلص لها الحب، ليموت - رحمه الله - وهو يشعر بتلك القوى الشريرة التي تحدق بهذه الأمة التي ما عادت تصغي إلى صوت الشعر، بعد أن نسيت شاعرها الذي احتفى بها شابا وبكاها شيخا.■

الهوامش:

* صحيفة الرياض- الخميس ١٥ شوال ١٤٢٣هـ، الموافق ١٩ ديسمبر (كانون الأول) ٢٠٠٢م.

** كاتب وأديب سعودي، رئيس تحرير مجلة الحج والعمرة التي تصدر عن وزارة الحج في المملكة العربية السعودية.

ـــن مختلف البلاد العربية يطالبون بطبع ديوان بلخير وجمع مؤلفاته

ـــاء ذكرى عبدالله بلخير بتظاهرة ثقافية سنويـــة

ومن جانبه اعتبر المثقف والأكاديمي المصري البارز الدكتور الطاهر مكي غياب عبدالله بلخير ملمحا جديدا لغروب عصر الكبار في الثقافة العربية لافتا إلى أن الراحل لم تقتصر إسهاماته على مجال الإبداع الشعري وحده، وإنما أضاف إليها سجلا حافلا بالعطاء التنويري الذي دشنه بتوليه وزارة الإعلام بالسعودية، ومواصلته لرحلة العطاء في مجالات الثقافة والإعلام المختلفة مقروءة ومسموعة . وعن تجربته الشعرية قال مكي إنها واحدة من أخصب التجارب التي تتسم بالغنى والأصالة وتحتاج إلى إعادة قراءة من أجيال الحركة الشعرية المتعاقبة في الأقطار العربية .

وأكد المفكر والأكاديمي المصري الدكتور عبدالمنعم تليمة أن الحركة الثقافية في العالم العربي فقدت برحيل «بلخير» أحد فرسانها وروادها الذين أكد عطاؤهم على الثوابت التي دافع عنها ونذر حياته من أجلها، والتي لم تجزل العطاء للوطن بمفهومه الإقليمي الضيق فحسب، وإنما امتدت إلى كل بقعة في ربوعه. وأشار تليمة إلى أهمية الإنتاج الشعري الذي خلفه الراحل الكبير وحاجة المثقف العربي إلى التواصل الفكري العميق معه لسبر حيوية النص الشعري في تجربته وقدرته على التجدد وتهيئة الأجواء لتجارب عديدة تتسم بالأصالة والعمق.

وأعرب الأديب المصري عبدالمنعم عواد يوسف عن تقدير الحركة الأدبية والثقافية في مصر لعطاء الراحل عبدالله بلخير الذي تواصل مع كافة بقاع الوطن العربي تاركا تراثا وتجربة غنية تحتاج إلى إعادة اكتشافه، ودعا الأجيال الشابة في السعودية إلى القيام بهذه المهمة، حتى يصبح أنموذج الأديب الراحل شاخصا أمام المثقفين والمبدعين الذين يفتشون عن عمق الهوية وأصالة الشخصية العربية.

واقترح عواد على الفعاليات الثقافية إحياء ذكرى الفقيد من خلال تظاهرة شعرية وثقافية تقام سنويا في ذكرى رحيله.

وقد أيد هذا الاقتراح أدباء من مختلف البلاد العربية مطالبين بإخراج ديوان بلخير إلى النور لأنه جزء مهم من تاريخنا الأدبي الحديث ، فعبدالله بلخير كما يقول الأديب اليمني الكبير د. عبدالعزيز المقالح جزء من ذاكرة الأمة في العصر الحديث ومرحلة من تاريخ الأدب والسياسة في جزيرة العرب.■

* صحيفة الوطن السعودية، العدد ٨٠٢ - ٦ / ١٠ / ١٤٢٤هـ.